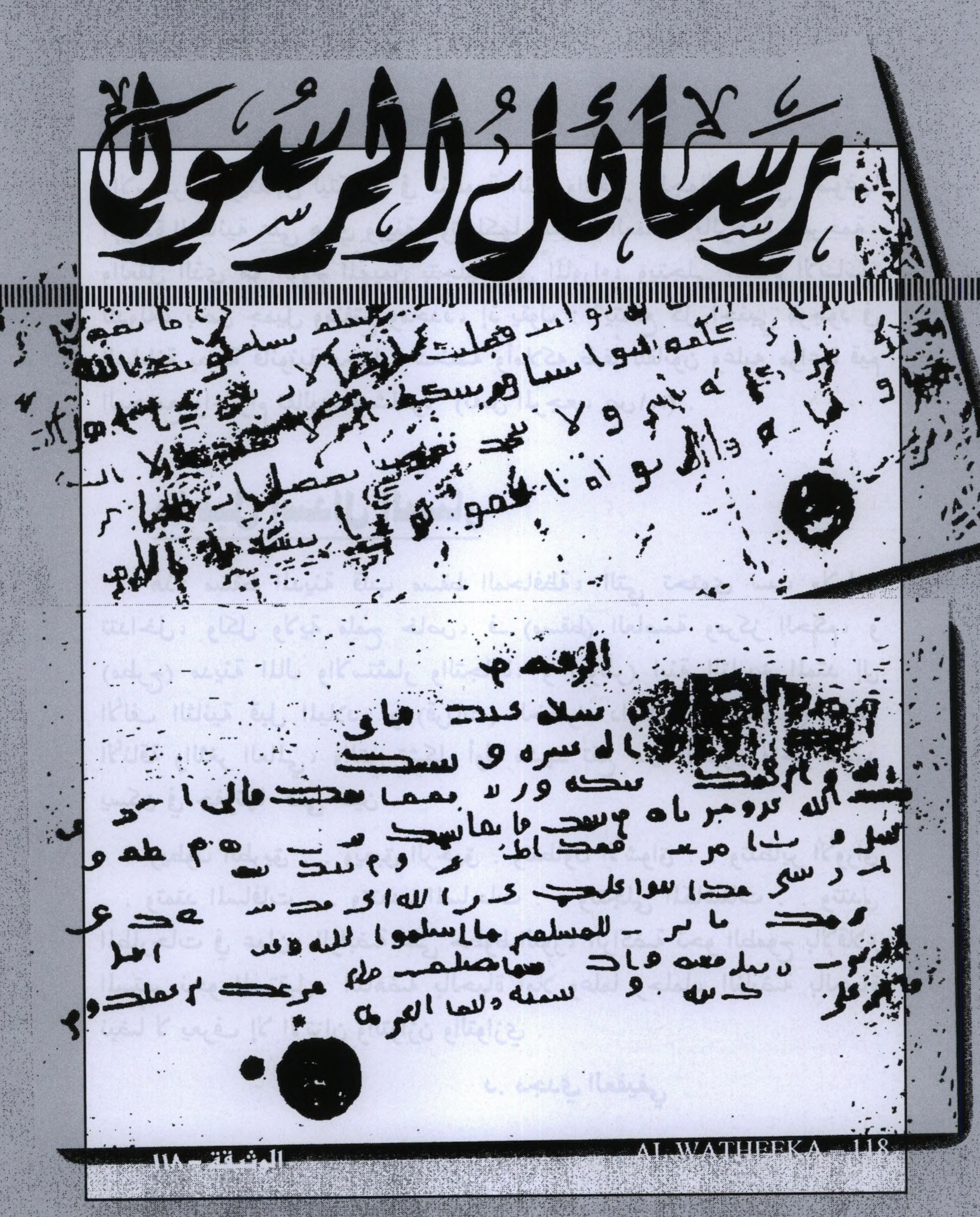


118-ALWATHEEKAH

الوثيقة - ١١٨

إلى البحرين

صلى الله عليه وسلم

بقلم الدكتور
علي أباحسين

لقد أولى كثير من المؤرخين وعلماء الحديث والسير والأدب اهتماماً لدراسة وتحقيق الرسائل التي أرسلها الرسول ﷺ إلى ملوك وأمراء وأهل عصره فلم يعد هناك أي شك في صحة الكتابة من قبله ﷺ والوفادات التي أرسلها لهم . أما من يتحفظ على صحة الوفادات النبوية فإنهم لم يتحققوا من دراسة ما كتب حول هذا الموضوع في كتب (الحديث) الموثق . ففي باب الجهاد ما أخرجه مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كتب إلى كسرى الفرس وإلى قيصر الروم وإلى نجاشي الحبشة وإلى كل جبار يدعوهم إلى عبادة الله تعالى(١) . وتجمع كتب الحديث على ذكر خبر الرسائل والخاتم والوفادة ومثل ذلك أوردت ذكرها كتب (السير والتاريخ والأدب)(٢)

وأن الذين لا يؤكدون ما ورد في كتب الحديث والسير والتاريخ من أخبار الوفادات فهم طائفة من المستشرقين ومنهم ميور وكايتاني ومرجليوت[٣] . بينما أكد آخرون صحة الوفادات مثل أرنولد[٤] ونولدكه[٥] . أما أولئك الذين لا يؤمنون بالدعوة الإسلامية كدعوة عالمية ويجعلونها خاصة بالعرب أو سكان الجزيرة العربية كبعض المستشرقين، فهم ينكرون صحة الوفادات خاصة وهم ينظرون إلى القوة العسكرية للرسول ﷺ والمسلمين الأوائل دون النظر إلى قوة العقيدة وهي عقيدة التوحيد التي هي أقوى حضارياً من العقائد المعاصرة التي يسودها الشرك وأن الرسول ﷺ كان يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة ويرسل الرسائل والدعاة قبل أن يلجأ إلى التحدي السياسي والعسكري .

كما بشر الله عز وجل نبيه بالفتح المبين وكتب ﷺ رسالة إلى شيخ اليمامة أو إلى المنذر بن ساوى حاكم البحرين يقول فيها : " واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر" . وهذه دلالة على أن خطة حكيمة نهج عليها رسول الله ﷺ مستمدة من الوحي الذي تلقاه من ربه ومن إيمانه بالعقيدة الإسلامية القويمة . وجدير بالذكر فإن ابن هشام في السيرة النبوية اختصر ما كتبه ابن إسحق ولم يهمل ذكر الرسائل بل أورد ذكرها في موضعين[٦] .

وإذا علمنا بأن الدول التي كانت لها السيطرة قبيل الإسلام هي إمبراطورية الروم والفرس واللتان ضعفتا نتيجة الحروب التي أنهكتهما والصراعات الداخلية والانقسامات المذهبية والعنصرية وغيرها فحل بهما الهرم وإذا حل الهرم في أمة فإنه لا يزول إلا بزوالها[٧] .

أما من يقول كيف تعلم موفدو رسول الله ﷺ لغة القوم الذين أرسلوا إليهم فالجواب بأنه ﷺ كان يختار ممن عرفوا اللغات خاصة وأن العرب كانوا يختلطون مع الأمم الأخرى فمنهم من عرف لغتهم[٨] .

خلاصة القول بأن إرسال الرسائل سواء كانت إلى المنذر بن ساوى أو غيره مسلم به تاريخياً ولا يحتمل أي شك .

وكتب رسول الله ﷺ رسائل إلى كل من (شبيب بن قرة) (وصحار بن العباس) و(الشمرخ بن خان السعدي) من وفد عبد القيس[٩] وختم رسول الله ﷺ رسائله بخاتمه الذي اتخذه بعد مشورة تلقاها عندما أراد إرسال الرسائل النبوية إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام فقد قيل (يا رسول الله إن الملوك لا يقرأون كتاباً إلا مختوماً ولهذا فقد اتخذ ﷺ خاتماً مستديراً من فضة، فصه منه ونقشه ثلاثة أسطر (محمد رسول الله) وجاءت كلمة (الله) في أعلى دائرة الختم وفي الوسط كلمة (الرسول) وفي الأسفل كلمة (محمد) . وقد بقي خاتم النبي في يده حتى قبض ثم انتقل إلى أبي بكر ثم إلى عمر ومنه إلى عثمان وبعد ست سنوات من حكمه سقط من إصبعه في بئر (أريس) مقابل مسجد قباء فلم يعثر عليه[١٠] .

رسائل الرسول ﷺ

إن الباحث في مصادر التاريخ الإسلامي المعتمدة يجد أن هناك اختلافاً في توقيت إرسال تلك الرسائل فإن ابن سعد (ت ٢٣٠هـ) في طبقاته يشير إلى أن العلاء بن الحضرمي بعث بصدقات البحرين بعد موقعة بدر وأنه وصل البحرين بعد السنة الثانية للهجرة . وهناك رواية لابن سيده (ت ٤٥٨هـ) تجعل رسائل الرسول ﷺ للبحرين بعد صلح الحديبية في السنة السادسة للهجرة والبعض يجعلون إرسال الرسالة الأولى في محرم من السنة السابعة وأن العلاء وصل إلى البحرين في صفر من نفس السنة بينما يتفق كل من ابن هشام (ت ٢١٨هـ) والبلاذري (ت ٢٧٩هـ) والطبري (ت ٣١٠هـ) على أن رسائل الرسول ﷺ أرسلت للبحرين في السنة الثامنة للهجرة الموافق ٦٣٠م . وهذا الاختلاف في

التوقيت ينطبق على رسائل الرسول ﷺ الأخرى إلى عمان أيضاً وقد اجتهد الكثير في ترتيب تلك الرسائل معتمدين على المناسبة التي أدت إلى إرسالها وما ورد في نصوصها ويكاد يتفق الكثير على أن أرجح عام هو (العام الثامن للهجرة الموافق ٦٣٠م) إذ كان عام إرسال رسائل الرسول ﷺ إلى أهل البحرين[١١] . أي بعد فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة وذلك لأن الرسول ﷺ تخلص من أعدائه في مكة وعظم صيته وزادت قوته حينئذ بدأ في توسيع نطاق الدعوة إلى أطراف الجزيرة ومن الصعب القول بأن الرسول ﷺ بعث برسائله قبل الفتح خشية أن يستفز قريش فتجدد عداءها للمسلمين[١٢] .

وأوفد الرسول ﷺ (العلاء بن عبد الله الحضرمي) إلى البحرين وهو من أهل مكة ولد فيها وأسلم في بداية الدعوة وقيل أنه أسلم قبل فتح مكة . وعده بعض المؤرخين من كتاب الوحي، وكان فصيح اللسان اتخذه الرسول ﷺ أميراً على البحرين ثم عاملاً لجمع الصدقات فيها فقد ولاه عليها في السنة الثامنة للهجرة النبوية الموافق عام ٦٣٠م وأقره على ولاية البحرين أبو بكر ثم عمر رضي الله عنه وكان له موقف مهم في القضاء على الردة في البحرين . وعزله عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين عبر البحر بالجيش الإسلامي إلى دارين وقيل أن عمر ولاه على البصرة، وفي أثناء سفره إليها توفى في الطريق وذلك في قرية من أرض تميم في عام ٢١هـ الموافق ٦٤٢م[١٣] .

أما حاكم البحرين الذي أرسلت له أول رسالة من الرسول ﷺ بيد العلاء فهو (المنذر بن ساوى العبدي التميمي) وينتسب إلى بني دارم . وفي رواية أخرى أنه من قبيلة عبد القيس التي كانت تسكن تهامة ثم نزلت البحرين فزاحمت قبيلة بكر بن وائل وتميم وكان المنذر بن ساوى مستقلاً في البحرين وإسلامه وأتباعه للنبي ﷺ له أسباب أعمق وأبعد لأنه كان هناك أعمال بين النبي ﷺ وبعض أهالي البحرين وفيهم من كان يدافع عن الإسلام في حياة

الرسول ﷺ ويتبين من كتاب الرسول ﷺ إلى المنذر أنه ارتبط بالنبي لعوامل سياسية وذلك للاحتفاظ بسلطته في البحرين بدليل أنه بقي في السلطة بعد إسلامه حتى وفاته ١١هـ . أما عمال الرسول إلى البحرين فكان عملهم محدوداً في نطاق الأمور المالية ولم يكن لهم سلطان سياسي ولعله حاول نشر الإسلام في البحرين ووافق على دخول الجباة المرسلين من المدينة إليها وإرسال أموال الجباية إلى المدينة لتزيد من قوته[١٤] . هذا إذا ما وضعنا في مقدمة الأسباب العامل الديني وهو قوة العقيدة الإسلامية وهذا رد على رأي (كايتاني) الذي يذكر أن انتشار الإسلام كان ضعيفاً في البحرين لأن المصادر تجمع على أن عرب البحرين دخلوا كلهم في الإسلام كما أن هناك علاقة قديمة بين الحجاز والبحرين عن طريق التجارة[١٥] ونحن نعلم أن التجارة من وسائل نقل الحضارة ولما كان الدين مظهراً من مظاهر الحضارة لذا فقد نقل التجار الدين الإسلامي إلى أماكن انتشر فيها الإسلام دون حرب أو قتال .

يتفق المؤرخون والمحدثون وأصحاب السير على أن رسول الله ﷺ أرسل رسائل إلى ملوك وأمراء عصره يدعوهم فيها للإسلام . ولكن تلك الرسائل لم تؤرخ لذا اجتهد البعض في ترتيبها وفقاً لمحتواها والمناسبة التي أرسلت لأجلها . فإن الرسالة الأولى التي أرسلها إلى (المنذر بن ساوى) في السنة الثامنة للهجرة الموافق في ٦٣٠م وفيها عرض ﷺ على المنذر الدعوة للإسلام ونقل الرسالة موفده (العلاء بن عبدالله الحضرمي) وأوصاه رسول الله ﷺ حين بعثه إلى البحرين بقوله : "إن أجابك فأقم حتى يأتيك أمري، وخذ الصدقة من أغنيائهم وردها إلى فقرائهم" فطلب العلاء من رسول الله ﷺ أن يكتب له كتاباً وهي الرسالة الأولى من بين الرسائل التي أرسلت للبحرين على ما ورد في معظم المصادر وهذا نصها[١٦] :

بسم الله الرحمن الرحيم

"من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى

سلامٌ عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أنْ لا إله إلا هو أما بعدُ فإني أدعوكَ إلى الإسلام فأَسْلِم تَسْلَمْ، وأسلِمْ يجعل لك الله ما تحت يديكَ واعلمْ أن ديني سيظهر إلى منتهى الخُفّ والحافِر. مُحَمّد رَسُول اللهِ".

وفي مصادر أخرى ورد هذا النص لرسالة الرسول ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى

سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك إلى الإسلام فأسلم تسلم يجعل الله لك ما تحت يديك، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر".

هذه الرسالة القصيرة فيها الدعوة للإسلام فإن أسلم المنذر فإنه سيبقى على حكمه للبحرين ثم يذكره عليه الصلاة والسلام بأن الدين الإسلامي سوف ينتشر إلى أقصى البلاد.

فلما قرأ المنذر بن ساوى رسالة الرسول ﷺ دار حديث بينه وبين العلاء مبني على العقل والمنطق والحكمة والبصيرة[١٧] ومدح العلاء المنذر بقوله :

"يامنذر إنك عظيم العقل في الدنيا، فلا تقصرن عن الآخرة، إن هذه المجوسية شر دين ينكِح فيه ما يستحيا من نكاحه، ويأكلون ما يتكره من أكله وتعبدون في الدنيا ناراً تأكلكم يوم القيامة ولست بعديم العقل ولا رأي، فانظر هل ينبغي لمن لا يكذب في الدنيا أن لا نصدقه ولمن لا يخون أن لا نأتمنه، ولمن لا يخلف أن لا نثق به، فإن كان هذا هكذا، فهذا هو النبي الأمي الذي والله

لا يستطيع ذو عقل أن يقـول ليت ما أمرت به نهـى عنـه أو ما نهى عنه أمر به .

فلما انتهى من كلامه أجابه المنذر قائلاً :

قد نظرت في هذا الذي في يدي فوجدته للدنيا دون الآخرة، ونظرت في دينكم فرأيته للآخرة والدنيا فما يمنعني من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت ولقد عجبت أمس ممن – يقبله – وعجبت اليوم ممن يرده وإن من أعظم من جاء به أن يعظم رسوله .

ثم أسلم المنذر بعدها، وهذا الكتاب يدل على أن المنذر أسلم بعد تمعن برسالة رسول الله ﷺ ثم يؤكد العلاء : بأن الدين الذي عليه المنذر وقومه هو من الشرك الذي لا يرضاه الله تعالى ولا عباده . وأن الدين الذي بشر به النبي الأمي، وهو الصادق الصدوق والأمين المؤتمن هو الدين الحق عندئذ اعتنق المنذر الإسلام عن قناعة ذاتية أكيدة وبقي محافظاً على إسلامه حتى توفى عام ١١هـ وأسلم معه من أهل البحرين وبعض العرب والعجم[١٨] . أما من أورد أن الرسالة الأولى لحاكم البحرين المنذر بن ساوى والتي فيها ورد قوله ﷺ :

"بأن رسلي قد أثنوا عليك . ."[١٩] فإنها لم تكن هي الرسالة الأولى لأنه ورد فيها أن الرسل أثنوا عليه وسوف نضع هذه الرسالة في مكانها المناسب . وعلى أثر ذلك أصدر ﷺ أمراً إلى (الأكبر بن عبد القيس) ولعله المنذر بن ساوى أمره بتعيين العلاء بن الحضرمي والياً من قبل رسول الله ﷺ على البحرين . كما أمره بالالتزام بالعهد ودفع الزكاة وأن يكون أهل البحرين أعواناً على الظالم وأنصاراً في الملاحم ولهم ما للمسلمين من الفيء والعدل في الحكم والسيرة وكانت هذه الرسالة الثانية من الرسول ﷺ إلى المنذر بن ساوى وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

"من محمد رسول الله إلى الأكبر بن عبدقيس :

إنهم آمنون بأمان الله ورسوله على ما أحدثوا في الجاهلية من القحم، وعليهم الوفاء بما عاهدوا ولهم أن لا يحبسوا عن طريق الميرة ولا يمنعوا صوب القطر ولا يحرموا حريم الثمار عند بلوغه . والعلاء الحضرمي أمين رسول الله ﷺ على برها وبحرها وحاضرها وسراياها وما خرج منها وأهل البحرين خفراؤه من الضيم وأعوانه على الظالم وأنصاره في الملاحم، عليهم بذلك عهد الله وميثاقه لا يبدلوه قولاً، ولا يريدون فرقة، ولهم على جند المسلمين الشركة في الفيء، والعدل في الحكم والقصد في السيرة، حكم لا تبديل له في الفريقين كليهما، والله ورسوله يشهد عليهم"(٢٠) .

ثم أجاب المنذر لرسول الله ﷺ بكتاب قال فيه :

"أما بعد يا رسول الله فإني قرأت كتابكم على أهل البحرين فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه فلم يدخل فيه وبأرضي يوجد يهود ومجوس فأحدث إلي أمرك بذلك"(٢١) .

وفي هذه الرسالةأن المنذر صدق وأسلم وأن من أهل البحرين من استجاب للدعوة ومنهم من لم يستجب ويطلب من رسول الله ﷺ أن يخبره عن موقفه تجاه المجوس واليهود في البحرين . فكتب الرسول ﷺ إلى العلاء كتاباً هذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

" أما بعد فإني قد بعثت إلى المنذر بن ساوى من يقضي منه ما اجتمع عنده من الجزية فعجله بها وابعث معها ما اجتمع عندك من الصدقة والعشور والسلام" كتبه أُبَيّ

– وكاتب هذه الرسالة من كتّاب الرسول ﷺ وهو (أُبَيّ بن كعب الخزرجي الأنصاري) وفيها أن المنذر جمع الجزية ممن بقوا على دينهم كالمجوس واليهود والنصارى . أما (الصدقات والعشور) فقد قام العلاء بجمعها بأمر رسول الله ﷺ . وأرسل العلاء ثمانين ألف درهم من البحرين والثابت أن رسول الله ﷺ أرسل للمنذر جواباً بشأن المجوس واليهود في البحرين كما أرسل إلى مجوس هجر رسالة وقيل أنه أرسلها إلى المنذر بخصوص معالجة أمر مجوس هجر (٢٢) .

وفي الرسالة الرابعة التي أرسلها ﷺ إلى المنذر والتي اعتبرها البعض هي الرسالة الثالثة وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

"من محمد إلى منذر بن ساوى

سلم أنت . فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإن كتابك جاءني وسمعت ما فيه، فمن صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم ومن أبى فعليه الجزية" .

وأورد أبو يوسف القاضي نص الرسالة وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم

"من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى

سلام الله عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو، أما بعد : فإن كتابك جاءني وسمعت ما فيه، فمن صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ما لنا، وعليه ما علينا .

ومن لم يفعل ذلك فعليه دينار من قيمة المعافري

والسلام ورحمة الله، يغفر الله لك"[٢٣] .

وفي هذه الرسالة الواجبات التي يجب أن يتصف بها المسلم كالصلاة واستقبال القبلة وأكل الذبيحة التي ذُكر اسم الله عليها حين ذبحها من قبل المسلم . ومن لم يفعل ذلك فعليه أن يدفع الجزية . أما (أبو يوسف) فلم يذكر تحديد الجزية بدينار من قيمة المعافري . وفي رسالة أخرى أنه فرض أربعة دراهم وعباءة ما نصه "وفرض على كل رجل ليس له أرض أربعة دراهم وعباءة"[٢٤] .

وإلى مجوسٍ هجر أرسل الرسول ﷺ رسالة يدعوهم إلى الإسلام وقد ذكرها البلاذري نقلاً عن الرواة وهذا نصها :

"فإن أسلموا فلهم مالنا وعليهم ما علينا فإن أبى فعليه الجزية في غير أكل لذبائحهم ولا نكاح لنسائهم" .

أما الاتفاقية التي عقدت بين العلاء بن الحضرمي وأهل البحرين وفيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

(هذا ما صالح عليه العلاء بن الحضرمي وأهل البحرين . صالحهم على أن يكفونا العمل ويقاسمونا التمر فمن لم يف فعليه

لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وأما جزية الرؤوس فإنه أخذ لها من كل حالم ديناراً)[٢٥] . هذه الاتفاقية قد تكون لاحقة لرسائل أخرى من رسول الله ﷺ إلى المنذر وإلى بقية حكام أهل البحرين .

وقد أرسل ﷺ رسالة إلى أهل هجر بعد أن أسلموا وفيها أن اختلافاً وقع بينهم فاتجه وفد منهم إلى الرسول ﷺ وأنه أرضاهم وقد وردت هذه الرسالة بصيغتين الأولى :

بسم الله الرحمن الرحيم

"من محمد النبي إلى أهل هجر

سلم أنتم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإني أوصيكم بالله وبأنفسكم ألا تضلوا بعد إذ هديتم ولا تغووا بعد إذ رشدتم، أما بعد فإنه قد أتاني الذي صنعتم وإنه من يحسن منكم لا يحمل عليه ذنب المسيء، فإذا جاءكم أمرائي فأطيعوهم وانصروهم وأعينوهم على أمر الله وفي سبيله، فإنه من يعمل منكم عملاً صالحاً فلن يضل له عند الله وعندي، وأما بعد فقد جاءني وفدكم فلم آت إليهم إلا ما سرهم وإني لو جهدت حقي فيكم كله لأخرجتكم من هجر فشفعت غائبكم وأفضلت على شاهدكم فاذكروا نعمة الله عليكم"[٢٦] .

ووردت صيغة هذه الرسالة عند ابن سعد هكذا :

بسم الله الرحمن الرحيم

"من محمد النبي رسول الله إلى أهل هجر

سلم أنتم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد فإني أوصيكم بالله وبأنفسكم، أن لا تضلوا بعد إذ هديتم، وأن لا تغووا بعد إذ رشدتم أما بعد، فقد جاءني وفدكم، فلم آت إليهم إلا ما سرهم وإني لو جهدت حقي فيكم كله أخرجتكم من هجر، فشفعت غائبكم، وأفضلت على شاهدكم فاذكروا نعمة الله عليكم، أما بعد فقد أتاني الذي صنعتم وأنه من يحسن منكم لا يحمل عليه ذنب المسيء . فإذا جاءكم أمرائي فأطيعوهم، وانصروهم على أمر الله وفي سبيله فإنه من يعمل منكم عملاً صالحاً، فلن يضل له عند الله ولا عندي"[٢٧] .

وفي رسالة بعث بها رسول الله ﷺ إلى أهل هجر بصيغتين أيضاً إحداهما قوله ﷺ :

"أما بعد فإن رسلي قد حمدوك وأنك مهما تصلح أصلح إليك وأثبتك على عملك وتنصح لله ولرسوله والسلام عليك" .

والصيغة الثانية هي :

بسم الله الرحمن الرحيم

"من محمد رسول الله إلى أهل هجر ، سلم أنتم، فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو أما بعد فإني أوصيكم بالله وأنفسكم أن لا تضلوا بعد إذ هديتم، ولا تغووا بعد إذ رشدتم أما بعد ذلكم فإنه قد جاءني وفدكم فلم آت فيهم إلا ما سرهم، وإني لو جهت حقي كله فيكم أخرجتكم من هجر، فشفعت شاهدكم ومننت على غائبكم . اذكروا نعمة الله عليكم، أما بعد فقد أتاني ما صنعتم وإن من يجمل منكم لا يحمل عليه ذنب المسيء، فإذا جاءكم أمراؤكم

فأطيعوهم وانصروهم على أمر الله وفي سبيله، فإن من يعمل عملاً صالحاً فلن يضل له عند الله ولا عندي . أما بعد يا منذر بن ساوى، فقد حمدك لي رسولي . وأنا إن شاء الله مثيبك على عملك" .

وجميع هذه الصيغ تدل على أن ردة حدثت في المنطقة كما يتضح ذلك من قوله ﷺ "أن لاتضلوا بعد إذ هديتم ولا تغووا بعد إذ رشدتم" . وأن فتنة الردة هذه أدت إلى إقصاء بعض الحكام بعد أن توجه وفد من البحرين إلى المدينة المنورة وقابلوا رسول الله ﷺ وأنهم سمعوا منه ما يسرهم . وذكر الواقدي أن الرسول ﷺ كتب إلى العلاء بن الحضرمي أن يأتيه بعشرين رجلاً من عبد القيس فجاء إليه ومعه عشرون رجلاً وعلى رأسهم عبد الله بن عوف بن الأشج فشكا الوفد العلاء فعزله الرسول ﷺ وولى (أبان بن سعيد بن العاص) وقال له : "استوص بعبد القيس خيراً وأكرم سراتهم"[٢٨] . وقيل أن العلاء عاد إلى المدينة المنورة بعد أن أنهيت خدماته، وفي قول أنه بقي والياً على منطقة في البحرين بينما أصبح (أبان) حاكماً على منطقة الخط . ويذكر البلاذري أن أهل البحرين طلبوا العلاء لحرب المرتدين فعاد للبحرين وقضى على الردة هناك . أما المنذر فقد بقي وقاوم الفتنة فأرسل له الرسول ﷺ رسالة فجعلها البعض الأولى في ترتيب الرسائل المرسلة إلى المنذر ومنهم من اعتبرها الثانية . بينما اجتهد آخرون فجعلوها السابعة أو ما قبل الأخيرة وهذا نصها[٢٩] :

بسم الله الرحمن الرحيم

"من محمد رسول الله، إلى المنذر بن ساوى سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وأن

محمداً عبده ورسوله، أما بعد فإني أذكرك الله عز وجل فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه وإنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيراً، وإني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية" .

في هذه الرسالة يحث الرسول ﷺ أهل البحرين على طاعة رسله الذين أرسلهم إلى هناك ويذكر عليه الصلاة والسلام أنهم أثنوا على المنذر خيراً عندئذ شفعه في قومه كما أنه طلب من المنذر أن يقبل من المتمردين العفو لأنه ﷺ قد عفا عن أهل الذنوب وأن لا يتعرض لليهود والمجوس الذين أقاموا على دينهم بل يأخذ منهم الجزية . وفي الرسالة التي تتكون من مائة كلمة بما فيها خاتم النبي ﷺ كتبت في عشرة أسطر وجاء فيها كلمة (أذكرك) كتبت هكذا (أذكر) في السطر الرابع و (ك) في السطر الخامس كما كتبت كلمة (رسلي) على النحو التالي :

كتب حرف (ر) في السطر الخامس وكلمة (سلي) في السطر السادس[٣٠] وأن هذه الرسالة تم العثور عليها مكتوبة على مخطوط جلدي يحتمل أن تكون أصل الرسالة النبوية إلى المنذر بن ساوى نشر عنها الدكتور (بوش) الألماني مقالاً في مجلة المستشرقين الألمان في عام ١٨٦٣م[٣١] ولما كان نص هذه الرسالة قد ورد في مصادر التاريخ المعتمدة لذا فقد اعتمدها المحققون . والواقع أن هذه الرسالة أرسلها الرسول ﷺ إلى المنذر بعد فتنة الردة وعزل العلاء بن الحضرمي

وفيها يحث أهل البحرين على إطاعة رسله الذين أرسلهم إليهم كما يذكر أن رسله أثنوا على المنذر خيراً وبذا شفعه في قومه وطلب منه أن يعفو عن المتمردين وأن يترك للمسلمين ممتلكاتهم وأكد على أن على المجوس واليهود الذين لم يدخلوا في الإسلام الجزية . فإما فرض الجزية على مجوس هجر فقد نزلت فيه الآية الكريمة "ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذ اهتديتم"(٣٢) وحول فرض الجزية على مجوس فارس فقد أشار عبد الرحمن بن عوف على الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول "سنوا بهم سنة أهل الكتاب" ففرضت الجزية على أهل السواد(٣٣) وكانت آخر رسالة إلى المنذر هي :

"إلى المنذر بن ساوى أما بعد : فإني قد بعثت إليك قدامه وأبي هريرة فادفع إليهما ما اجتمع عندك من جزية أرضك والسلام" . كتب أُبَيّ .

وقد أرسلها ﷺ بيد قدامه بن مظعون ومعه أبو هريرة . ويلاحظ أن الجزية على الأرض والمعلوم أنها على الرؤوس من أهل الكتاب ومن المحتمل أنها تعني الجزية على أهل الأرض . وكان أول خراج دخل المدينة المنورة هو خراج أهل البحرين ومقداره سبعون ألف درهم وقيل ثمانون ألف درهم(٣٤) .

ومن الرسائل التي أرسلها الرسول ﷺ إلى أهل البحرين رسالة إلى (الهلال صاحب البحرين) وفيها :

"سلم أنت فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو لا شريك له وأدعوك لله وحده . تؤمن بالله وتطيع وتدخل في الجماعة فإنه خيرٌ لك والسلام على من اتبع الهدى"(٣٥) .

وأرسل رسول الله ﷺ رسالة إلى (سيبخت) مرزبان هجر أي الحاكم في هجر رداً على رسالته فجعله الرسول يشفع في قومه أي جعل له السلطة الإدارية في قومه الذين سماهم رسول الله ﷺ (بني عبد الله) وليس لدينا معلومات عنه وإنما أرسل الرسالة إليه بيد الأقرع التميمي والذي جعله عاملاً للصدقة وقد أقنع الأقرع قومه من بني تميم للدخول في الإسلام بعد أن اتجه وفد منهم إلى الرسول ﷺ وأسلموا . وإليك هذه الرسالة إلى سيبخت صاحب هجر والتي أوردها ابن سعد بقوله :

"إلى سيبخت بن عبد الله صاحب هجر

إنه قد جاءني الأقرع بكتابك وشفاعتك لقومك، وإني قد شفعتك وصدقت رسولك الأقرع في قومك، فأبشر فيما سألتني بالذي تحب ولكني نظرت أن أعلمه فتلقاني، فإن جئتنا أكرمك، وإن تقعد أكرمك .

أما بعد فإني لا أستهدي أحداً، فإن تهد إليّ أقبل هديتك وقد حمد عمالي مكانك وأوصيك بأحسن الذي أنت عليه من الصلاة والزكاة وقرابة المؤمنين وأني قد سميت قومك بني عبد الله فمرهم بالصلاة وبأحسن العمل وأبشر، والسلام عليك وعلى قومك المؤمنين" .

وفي رسالة أخرى إلى أهل البحرين بأن لهم ما أسلموا عليه إن أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ولم يمجسوا أولادهم وعليهم هدم وتخريب بيوت النار وإن وجدفيها مال أو ذهب فيجب أن يجعل ذلك لله ورسوله وإليك نص الرسالة :

"أما بعد فإنكم إذا أقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة ونصحتم لله ورسوله، وآتيتم عشر النخل ونصف عشر الحب ولم تمجسوا أولادكم فلكم ما أسلمتم عليه، غير أن بيت النار لله ورسوله، وإن أبيتم فعليكم الجزية"(٣٦) .

أما الرسالة التالية والأخيرة فربما أنها أرسلت مع وفد الجارود ويتضح منها أن اتفاقاً تم بين الرسول ﷺ وقبيلة عبد القيس في البحرين وما حولها إذا أسلموا وأطاعوا الله ورسوله وأقاموا أركان الدين والعدل بينهم وعليهم أخذ الصدقات من أغنيائهم إلى فقرائهم وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

"هذا كتاب من محمد رسول الله لعبد القيس وحاشيتها من البحرين وما حولها، إنكم أتيتموني مسلمين، مؤمنين بالله ورسوله، وعاهدتم على دينه فقبلت على أن تطيعوا الله ورسوله فيما أحببتم وكرهتم، وتقيموا الصلاة وتؤدوا الزكاة وتحجوا البيت وتصوموا رمضان، وكونوا قائمين لله بالقسط ولو على أنفسكم، وعلى أن تؤخذ من حواشي أموال أغنيائكم فترد على فقرائكم، على فريضة الله ورسوله في أموال المسلمين"(٣٧) .

دخلت البحرين في الإسلام في عهد رسول الله ﷺ دون قتال(٣٨) حين بعث عليه الصلاة والسلام موفده وسفيره (العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي ومعه رسالة يدعوه فيها إلى الإسلام فأسلم المنذر ومعه أسلم العرب وبعض العجم(٣٩) .

وكان قبول أهل البحرين الدعوة الإسلامية دون أية معارضة يدل على النضوج الفكري ثم النزعة للتخلص من الوثنية التي شاخت وهرمت، والمجوسية المقيتة والتخلف العقائدي، ولاشك أن اعتناق أهل البحرين للإسلام نتيجة لما تتمتع به البحرين من حضارة ورثتها منذ القدم واستقلال يدل على سرعة اعتناق حاكمها وعربها للعقيدة الإسلامية . والمتتبع للرسائل التي بعث بها رسول الله ﷺ إلى البحرين يجد أن المنذر أسلم وبعض أهل قومه وخاصة عربهم دون استشارة أو تأخر ثم طلب من رسول الله أن يعلمه موقفه من المجوس واليهود في بلاده فلو أنه كان تحت نفوذ الفرس – كما ذكر البلاذري – لما حدث أن أسلم دون الحصول على إذن منهم . ثم إن من بين الرسائل التي بعثها الرسول ﷺ رسالة أرسلها إلى (سيبخت) الفارسي الذي كان يحكم منطقة صغيرة في البحرين ولم يكن مجوسياً وقد أسلم وقومه معه . ومن هنا نستطيع القول بأن سيبخت لم يكن والياً أو متولياً من قبل الفرس ولا مرتبطاً بحكومتهم بدليل أنه أسلم هو الآخر ومعه قومه فور استلامه رسالة النبي (ص)فلو أنه كلن تحت نفوذ فارس أو أن له صلة بهم لاستشارهم[٤٠] .

خاصة وأن الوهن والهرم قد دب في (الدولة الساسانية) التي كانت دولة عسكرية اهتمت بالتوسع على حساب الشعوب الضعيفة واتخذت الديانة الزرادشتية المجوسية ديناً رسمياً للدولة إلا ما كان في عهد كسرى (قباذ) الذي فرض المزدكية الإباحية حتى في بعض البلاد المجاورة، وكان الانقسام الديني قد أدى إلى انقسام سياسي .

وساد الإقطاع في الدولة إذ تسيطر الطبقة الأرستقراطية على البلاد ومنهم ذوو البيوتات الستة الذين كثيراً ما يرأسون أقاليمهم ويدافعون عن إقطاعياتهم،

وأما الحكام وهم الشاهات وعددهم نحو خمسة عشر شاهاً فإن لهم الحكم في الدولة، وهناك الأمراء ويسمون (البرزكان) فلهم امتيازات ويتمتعون بالنفوذ المالي وكثيراً ما كان كسرى الفرس يعفيهم من الضرائب، ويليهم الفرسان وهم من الأشراف – أما بقية الشعب فهم المزارعون والعمال ويشكلون معظم السكان ولكن لا شيء لهم من الامتيازات والحقوق وجلهم من الفرس والعرب والأنباط والأكراد والأتراك وأغلبهم يعاملون كرقيق الأرض وهم في مستوى معاشي ضعيف يباعون مع الأرض أو أنهم ليس لهم الحق في ترك أراضيهم علاوة على ما عليهم من ضرائب باهظة . وأهم الضرائب الخراج وتساوي نصف المحصول ثم ضريبة النوروز (ومعنى النوروز اليوم الجديد من الربيع) والمهرجان وهي ضريبة تدفع في يوم ذكرى تتويج كسرى الفرس . وضريبة الموائد وأجور القراطيس والصرافين والنقل والجسور والطرق والسدود وغيرها مع التعسف الشديد من قبل الجباة، كل هذا وذاك من عوامل التذمر، فإذا ما جاء المسلمون وهم يحملون عقيدة إنسانية في جوهرها العدالة الاجتماعية والمساواة والحرية فكان ذلك من عوامل قبول العقيدة الإسلامية . ثم تباين القوميات المكونة لإمبراطورية الفرس وكذلك تعدد اللغات والديانات والاختلاف الجنسي في العناصر أدى إلى اختلاف في الأهداف وانقسام سياسي وهذا سبب ضعف في الدولة وبالتالي ساعد على انتشار الإسلام .

ومن العوامل التي أضعفت الفرس والروم على السواء حروبهم المستمرة مما أدى إلى فرضهم ضرائب باهظة لسد تكاليف الحروب علاوة على الخلافات في البيت الكسروي على العرش فقد قتل شيرويه والده أبرويز وجميع إخوته وبعده

جاءت بوران أخته . فأدى تدخل النساء في الحكم وانتشار الدسائس وغيرها إلى إضعاف الدولة الفارسية وكانت من العوامل التي ساعدت على قبول الإسلام دين السلام والحرية والعدالة الاجتماعية . ومن هذا العرض للأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية في بلاد الفرس وقتئذ يثبت أنه لم يوجد لدولة الفرس نفوذ على البحرين لأنها في حالة ضعف وتدهور .

د. علي أباحسين

الهوامش

١ — مسلم، صحيح مسلم جـ ٣، ص٣٩١ بشرح النووي (باب الجهاد) ؛ و د. عز الدين إبراهيم، الدراسات المتعلقة برسائل النبي، المؤرخ العربي ٢٣/٣٤٠/١٩٨٣م .

٢ — أحمد بن حنبل، المسند ٢٦٢/١ و ٧٤/٤ و٧٥ ؛ وأبو داود، حديث ٤٢١٤ ؛ والنسائي جـ ٨ ص١٧٤ ؛وابن ماجه، حديث ٣٦٣٩/٣٦٤٠ ؛ وابن سعد، الطبقات ٢٥٨/١ وما بعدها ؛ وابن كثير، السيرة جـ٣/٤٩٤ ؛ والطبري، تاريخه ١٥٥٩/٣ ؛ وانظر محمد حميد الله، الوثائق السياسية، ص١١ و٧٤ ؛ والقلقشندي، صبح الأعشى ٣٧٧/٦ ؛وابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢٥٩/٢ و٢٧٠ ؛ والحلبي، السيرة الحلبية ٥٥/٣–٩٠ ؛ وأبو الحسن الندوي، السيرة النبوية، ص٣٣٣–٢٥٤ ؛ والمؤرخ العربي ٢٤٢/٢٣–٢٤٣ .

٣ — وليام ميور، حياة محمد، ص٣٥٤–٣٥٧ ؛ وليون كايتاني، حوليات الإسلام، ٧٢٥/١ ؛ ومرجوليوت، محمد، ص٣٦٤ .

٤ — توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام ص٨٣ .

٥ — نولدكه، دبلوماسية محمد، ص٨٣ .

٦ — ابن هشام، سيرة ابن هشام، ٢٥٤/٤–٢٥٥ تحقيق السقا ؛ والمؤرخ العربي، العدد٢٣/ص٢٤٥ .

٧ — ابن خلدون، المقدمة

٨ — أبو الحسن الندوي، السيرة، ص٣٣٣ ؛ والدراسات المتعلقة برسائل الرسول، ص٢٥٢ .

٩ — الوثيقة ١٥/٥ .

١٠ — الوثيقة، ٤١/١ .

١١ — فالح حنظل، رسائل الرسول، ص٤٩ و٥٠ و٥٧ ؛ الكتور عون الشريف قاسم نشأة الدولة الإسلامية، ص٧٧ ؛ والوثيقة ١٤/٦ ؛ والوثيقة ١٢/٥ .

١٢ — البحرين في صدر الإسلام، ص١٠١ .

١٣ — الوثيقة، ٤٣/١ و٤٩ ؛ ورسائل الرسول، ص٥٧ ؛ والوثيقة ٥٣/٤ و١٤/٦ .

١٤ — البحرين في صدر الإسلام، ص١٠٢ .

١٥ — ياقوت، ص٥٠٨ ؛ والبلاذري ٧٨ ؛ والبحرين في صدر الإسلام، ص١٠٣ .

١٦ — مجموعة الوثائق السياسية والخلافة، ص٧٩-٨٠ ؛ ورساءل الرسول، ص٥٧-٥٨ ؛ والوثيقة، ١٢/٥ و١٣/٦ حيث وردت كلمة (يديك) كما وردت في مصادر أخرى (يدك) .

١٧ — الوثيقة، ١٤/٦ ؛ ورسائل الرسول وموفدوه، ص٥٧ ؛ ابن طولون، أعلام السائلين، ص١٤١ .

١٨ — ن.م.س. /ص٥٨-٦٠ .

١٩ — الوثيقة، ٤٦/١ .

٢٠ — طبقات ابن سعد ٢٨٣ ؛ورسائل الرسول وموفدوه، ص٥٩ ؛ والوثيقة ١٤/٦ .

٢١ — ن.م.س، ص٦٠ .

٢٢ — فتوح البلدان، ص٩٢؛ والوثيقة ١٤/٥ ؛ ورسائل الرسول، ص٦٠-٦١ ؛ وفي الوثيقة ١٩/٦ أورد نص الرسالة كالتالي : "أما بعد فإني بعثت إلى المنذر بن ساوى من يقبض منه ما اجتمع عنده من الجزية فعجله وابعث ما اجتمع عندك من الصدقة والعشور والسلام" . (وكتب أبيّ بن كعب)

٢٣ — فتوح البلدان، ص٩١ ؛ رسائل الرسول، ص٦٣ ؛ والوثيقة ١٣/٥و١٤ ؛ وفي الوثيقة ١٨/٦ اعتبرت الرسالة الثالثة ؛ وأبو يوسف القاضي، الخراج، ص١٣١ .

٢٤ — الوثيقة، ١٨/٦ .

٢٥ — فتوح البلدان، ص٩١ ؛ حالم : بلغ الحلم والرشد ؛ رسائل الرسول وموفدوه، ص٦٤ ؛ والوثيقة ١٦/٦ .

٢٦ — رسائل الرسول، ص٦٥؛ والوثيقة ١٣/٥ وفيها وردت كلمة (عندي) بدلاً من (أتاني) . كما أن (لو) لم ترد في الوثيقة ١٣/٥، أما العدد ٦/صفحة ١٦ فلم ترد فيه الرسالة أصلاً .

٢٧ — ن.م.س/ص٦٦ ؛ وفي الوثيقة بعددها الخامس/ص١٣و١٤ لم يذكر (لا) فيجملة (وأن لا تغنوا) كما وردت (أجمل) بدلاً من (يحمل)، وحذف (لن) يضل ، وحذف (له) عند الله .

٢٨ — الطبقات الكبرى — ٧٧/٢ ؛ ورسائل الرسول، ص٦٨ .

٢٩ — الوثيقة ٤٣/١ و١٣/٥ و١٧/٦ .

٣٠ — الوثيقة ٤٣/١ ؛ ورسائل الرسول وموفدوه، ص٥٠ .

٣١ — بوش، المستشرقون الألمان، ج ١٧ ؛ والمؤرخ العربي، ٢٣/ص٢٥٦ ؛ ورسائل الرسول وموفدوه /ص٦٩ و٧٠ .

٣٢ – فتوح البلدان، ص٩٠؛ وسورة المائدة /آية ٥؛ ورسائل الرسول ص٧١ .

٣٣ – رسائل الرسول ص٦١و٧٢؛ والوثيقة ٤٩/١ و٥/١٤ و١٩/٦ .

٣٤ – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج/ص؛ ورسائل الرسول وموفدوه، ص٧٣ .

٣٥ – ابن سعد، الطبقات الكبرى ج/ص؛ ورسائل الرسول وموفدوه ص٧٣ .

٣٦ – فتوح البلدان، ص٧٩؛ ورسائل الرسول ص٨٠ .

٣٧ – رسائل الرسول، ص٨١ .

٣٨ – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٧٦/٢؛والبكري، معجم ما استعجم، ص١٣٠و٢٢٨و٥٦٥ ؛ ود. النجم، البحرين في صدر الإسلام، ص١٠١ .

٣٩ – البلاذري، فتوح البلدان، ٧٨ و٨٠ ؛ وياقوت، معجم البلدان، ٥٠٩/١ ؛ والبحرين في صدر الإسلام، ص١٠١ .

٤٠ – فتوح البلدان، ص٨٩ ؛ وفالح حنظل، رسائل الرسول وموفدوه ص٥٥ و٥٦؛ والوثيقة ١٢/٦ .